حسينيات

رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين

الصباح
ALSABAH NEWSPAPER

16 صفحة
www.alsabaah.iq
ch.editor@alsabaah.iq
ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام

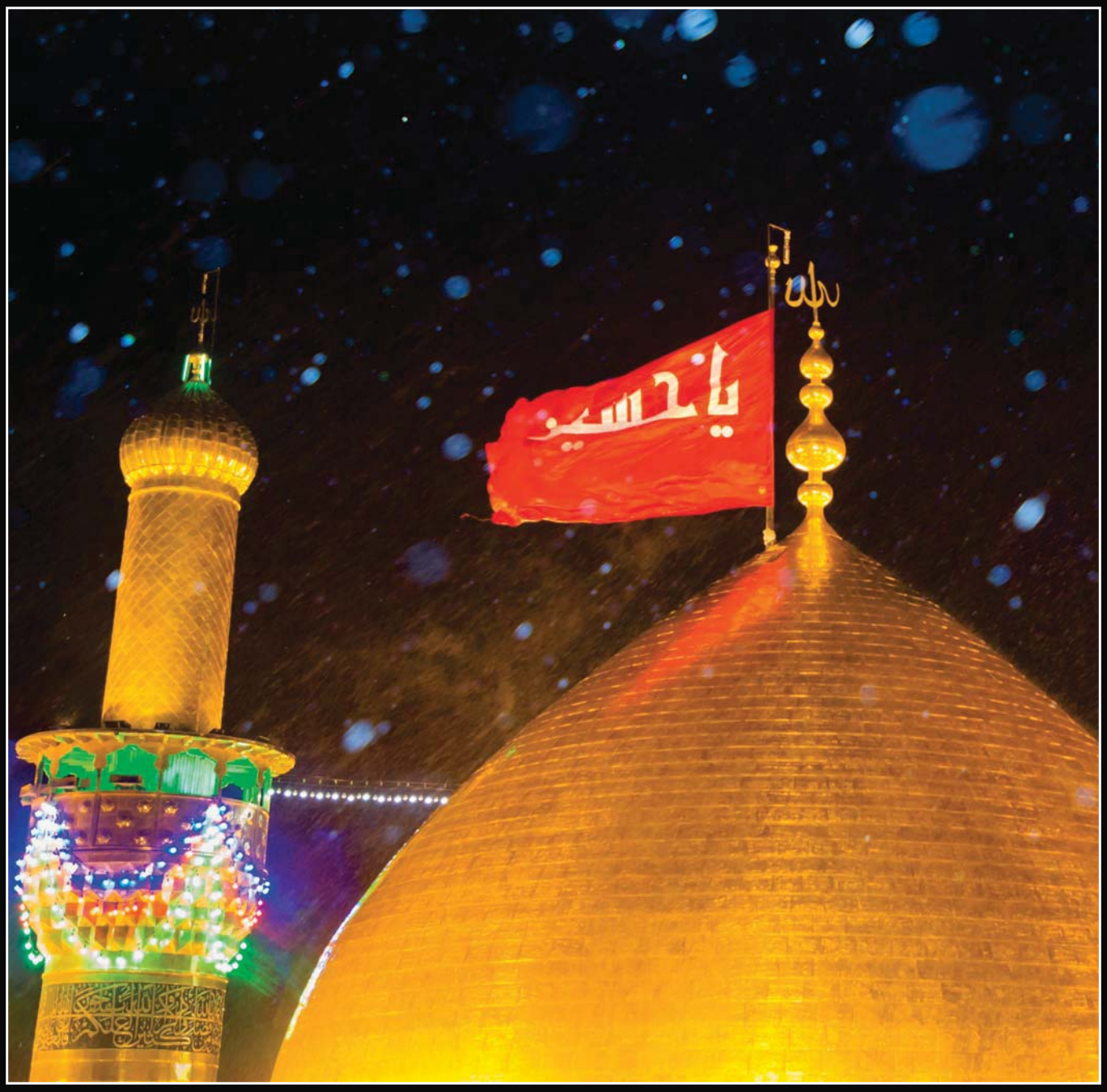

الصباح
هيأة التحرير

مدير التحرير
نزار عبد الستار

سكرتير التحرير
وسام عبد الواحد

رئيس القسم الفني
مصطفى الربيعي

الاعلانات:
ads@alsabaah.iq
موبايل:
07809174852

العلاقات العامة
موبايل: 07809174853
pr@alsabaah.iq
info@alsabaah.iq

التوزيع والاشتراكات:
موبايل: 07809210536
dist.imn@alsabaah.iq

مطابع شبكة الإعلام العراقي
IMN PRESS

الثورة الحسينيَّة وضرورة الإدراك الذهني للأمة

د.علي كريم خضير

كلُّ مَنْ اطلَّع على الثورة الحسينيَّة من مفكري العالم الأفذاذ، وجد أنَّ هذا اللون من التضحية لا شبيه له في أرجاء المعمورة؛ لأنَّ الصورة التي قُدِّمت فيها الشهادة تكاد تكون ضرباً من الخيال، فهذا التفاني وهذا الإخلاص من قبل أهل بيته وأصحابه تظلُّ دروساً حقيقيَّة في معنى الإيمان والجهاد من أجل إعلاء كلمة الحق والعدل التي حاول البيت الأموي طمس هويتها واقتياد الأمة الإسلاميَّة إلى واقع ما قبل البعثة النبويَّة عبر التمايز العرقي والقبلي وإشاعة المفاسد وهضم الحقوق وتوجيه الناس إلى عبادة السلطان بتوزيع الهبات والأموال من أجل شراء الذمم والعقول،

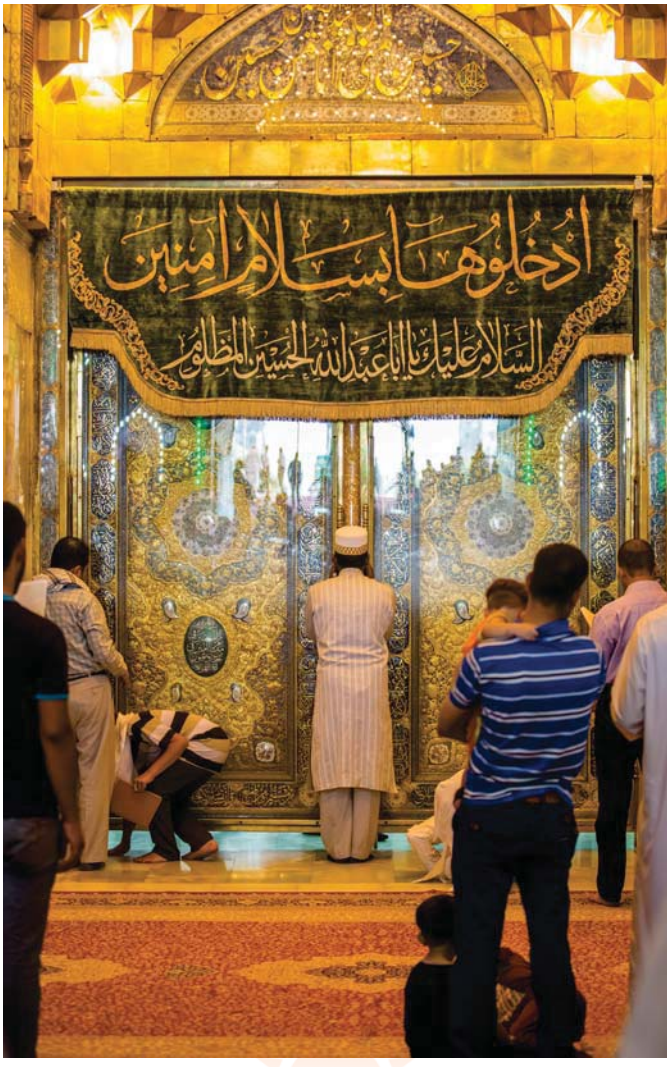

وقد كانت هذه الممارسات تشتد وطأتها يوماً بعد آخر حتى غاب صوت الضمير الحي، وظلت الأمة تتأرجح بين الثبات والسقوط في وقتٍ كان معاوية بن أبي سفيان يسعى إلى تثبيت أركان ملكه وهو يعلمُ بأنه لن يستعدي عليه أحدٌ إلَّا من طبعه الخالق بنور الإيمان وجلالة الخلق وأعني (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، فالصلح المشروط الذي تمَّ بينه وبين الإمام الحسن (ع) لم يكن مانعاً من عودة الإمام إلى الخلافة من جديد، ما دام يدرك تماماً عدم تقيّد نفسه بشروط الصلح القائمة، الأمر الذي دعاه إلى تدبير مؤامرة دنيئة بدسّ السم إلى الإمام (ع) واستشهاده على أثر ذلك. فأسرع بوصيته إلى ابنه يزيد بالحكم من بعده، وتلك سابقة خطيرة بتوريث السلطة لم تشهدها الأمة، هذا فضلاً عمَّا عُرف عن يزيد بن معاوية من استهتارٍ صريح في اقتراف الموبقات وشرب الخمور وملاعبة القرود... وما شابه. هذه كلُّها تؤكد محاولات حرف الأمة عن جادَّة الصواب وتغيير مسار النهج الإسلامي القويم تمهيداً إلى ضرب الدين المحمدي بالصميم، على أنْ يكون هذا الرفض مشروعاً -من وجهة نظره- ومشفوعاً باختبار الأمة، وهكذا كان الإلحاح شديداً من قبل السلطة الأمويَّة على مبايعة الإمام الحسين (ع) ليزيد، بوصف الإمام (ع) رأس الهرم في بيت النبوة، وهو الوريث الشرعي لخلافة المسلمين بحسب ما نصَّت عليه اتفاقيَّة الصلح بين الإمام الحسن (ع) ومعاوية.

وإذا كانت إرادة الشعوب هي التي تصنع المعجزات، وتقاوم أيَّ نفوذ يعاكس الاتجاه، فالحقيقة أنَّ الأمة الإسلاميَّة وقتذاك لم تكن تحمل سلاح الإرادة، ولم تكن قادرة على الممانعة، لأنَّ معاوية قد أحكم نفوذه عليها، واستعمل الولاة الظالمين على أمصارها التي ترعرع فيها الإسلام نشأً حتى صار دين الإنسانيَّة في زمن فتوحات الخلفاء الراشدين. لهذا كانت ثورة الإمام الحسين (ع) بمثابة تجديدٍ للدعوة الإسلاميَّة واختبارٍ حقيقي للمؤمنين الذين حرصوا على الحفاظ على نشر راية الإسلام الحنيف، وهي ثورة ارتكزت خلافاً عن غيرها على مبادئ وقيم إنسانيَّة عالية، فالمناداة بالعدل وإنصاف الأمة وتأمين معاشها، ونبذ التناحر والاقتتال الطائفي والعرقي، هذه مسلمات تدعو لها كلُّ أمة متحضرة على وجه الأرض.

من هنا تجد أنَّ أنصار الإمام الحسين (ع) كانوا يمثلون فُسيفساء من هذه الفئات والطوائف المختلفة فتجد المسيحي ممثلاً بوهب النصراني، وتجد الفقير ممثلاً بجون مولى أبي ذر، وتجد السيد الجليل في قومه كالحر بن يزيد الرياحي، وتجد الغني فيهم كزهير بن القين، وتجد الصحابي كحبيب بن مظاهر الأسدي.. هؤلاء جميعاً كانوا خلاصة المؤمنين من الأمة، توفَّاهم الله شهداء مرملين بدمائهم الزكيَّة من أجل نصرة الحق، وإعلاء كلمة التقوى، هؤلاء وإنْ كانوا ثلَّةً قليلة، ولم تكن رسالتهم حينذاك ذات بالٍ للسلطة الأمويَّة الجائرة، لكنها تركت أثراً كبيراً في ما بعد وزلزلت الحكم من تحت أقدام يزيد بن معاوية، وأبلغ الدروس فيها، تمثلت في انعدام وجود الرغبة الحقيقيَّة لأبناء يزيد في تسلم مقاليد الحكم من بعد وفاته، وظلت آثارها باقية حتى نهاية الحكم الأموي على أيدي العباسيين بحجة الثأر لهذه الموقعة العظيمة ومظلوميَّة آل بيت رسول الله (ص).

وخلاصة الأمر، إنَّ ثورة الإمام الحسين (ع) تبقى حيَّة ما بقيت البشريَّة بفعل ما حملت من معانٍ أخلاقيَّة سامية، ودعوات صادقة لنبذ الظلم، بعد أنْ طالت التضحيات فيها الابن، والأخ، وابن العم، والصحابي وصولاً إلى النفس، ومظلوميَّة السبيّ للنساء العزَّل والأطفال.

هذه الثورة تعلَّمَ منها العالم القديم والحديث كثيراً من الدروس والعبر، وهي دليلٌ ومنهاجٌ لأيّ ثائرٍ في العالم، وهكذا قال المهاتما غاندي مقولته الشهيرة: (تعلمتُ من الحسين أنْ أكون مظلوماً فأنتصر).

وإذا كانت الأمة الإسلاميَّة اليوم تعيش محنتها بالاستلاب والتهميش، فهي مطالبة بأخذ جرعتها العلاجيَّة من هذا المعين الذي يفيض سموّاً وعدلاً ونقاءً، كي تستطيع أنْ تحافظ على نفسها من الهلاك والتشظّي، وترتقي إلى حجم المسؤوليَّة التأريخيَّة المنوطة بها، وذلك بتطهير النفس من الأدران التي علقت بها بسبب ما نفثته فينا سموم الأفكار المستوردة غير المتفقة مع قيم ومبادئ ديننا الإسلامي الحنيف، وضرورة توجيه الأنظار إلى هذه النهضة العظيمة المعطاء، وإسكات جميع الأصوات النَّشاز التي ما انفكَّت تكيل التُّهم لانتشار معالمها في النفوس، متناسين أنَّ ما للهِ يبقى، وما للناسِ زائلٌ لا يدوم.

حينما يتحول الندم إلى حافز للزيارة

قصة عبيد الله بن الحر الجعفي مع الحسين «ع»

جواد علي كسار

الزيارة وشعر الرثاء هما مظهران من أبرز المظاهر التي أعقبت واقعة 10 محرم عام61 هجرية، التي خرّ فيها الإمام الحسين وثلة من أهله وأصحابه صرعى شهداء على ثرى كربلاء، دفاعاً عن وحي الله، وشريعة الرسول، وكرامة الإنسان.

إن أبرز ما ارتبط بذينيك الظاهرتين من خصال، هي الحبّ والحزن والندم. فمن يحسّ بسلامة موقفه الشرعي في التخلف عن الحسين ونصرته، كان يمارس فعل الزيارة أو الرثاء بحبّ لسيد الشهداء مشوب بحزن عميق لما ألمّ بسبط الرسول وابن بضعته، وما حلّ بأهله وصحبه الكرام. أما من يفتقد إلى سلامة الموقف الشرعي في التخلف عن النصرة فكان الندم أول دوافعه وهواجسه في الزيارة والرثاء، ولا مانع من أن يأتي هذا الندم مصحوباً بالحزن والحبّ، وبين أيدينا عدد من الشواهد والأمثلة، نكتفي بواحدٍ منها.

عبيد الله بن الحر الجعفي

تبدأ قصة عبيد الله بن الحر الجعفي مع الإمام عليه السلام من قرار ابن الحر مغادرة الكوفة قبل شهر أو أكثر أو أقلّ من استشهاد الحسين في كربلاء، خشية أن يدخلها الإمام سيد الشهداء ويتخلف ابن الحر عن نصرته، إذ يقول في ذلك مخاطباً رسول الحسين إليه: «والله يا حجاج ما خرجتُ من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين وأنا فيها ولا أنصره، لأنه ليس في الكوفة شيعة ولا أنصار إلا مالوا إلى الدنيا، إلا من عُصم منهم».

حين كان الحسين يسلك طريق العراق في توجهه صوب الكوفة، نزل في منطقة يطلق عليها قصر بني مقاتل، فإذا فسطاط مضروب ورمح مركوز وخيول مضمرة، فقال الحسين: لمن هذا الفسطاط ؟ قالوا: لعبيد الله بن الحر الجعفي، فأرسل إليه الحسين رجلاً من أصحابه يُقال له الحجاج بن مسروق الجعفي، فأقبل فسلّم على ابن الحر، فردّ عليه السلام، ثمّ قال: ما وراءك ؟ أجاب مسروق: ورائي يا ابن الحر أن الله قد أهدى إليك كرامة إن قبلتها، فقال: وما تلك الكرامة ؟ فقال مسروق: هذا الحسين بن علي يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجرت، وإن قُتلت بين يديه استُشهدت.

فاعتذر إليه ابن الحر أنه لم يترك الكوفة إلا خوفاً من هذا الموقف كما مرّ في كلامه آنفاً. فجاء الحجاج بن مسروق وأخبر الحسين، فدعا عليه السلام بنعليه فلبسهما، وأقبل حتى دخل على ابن الحر، فلما رآه قد دخل وسلّم، وثب عبيد الله بن الحر وتنحى عن صدر مجلسه، وقبّل يدي الحسين ورجليه، وجلس الحسين، ثمّ قال: يا ابن الحر ما يمنعك أن تخرج معي ؟ قال: أحبّ أن تعفيني من الخروج معك.

اقتراح

ثمّ اقترح على الإمام ما يلي: هذه فرسي المحلقة فاركبها، فوا الله ما طلبتُ عليها شيئاً إلا أدركته، ولا طلبني أحد إلا فته، حتى تلحق بمأمنك، وأنا ضمين لك بعيالاتك أوديهم إليك أو أموت أنا وأصحابي دونهم، وأنا كما تعلم إذا دخلتُ في أمرٍ لم يضمنِ أحد.

إذن هو يقترح على الإمام سيد الشهداء الهرب دون عياله، على أن يتكفّل له ابن الحر إرجاع عياله إلى المدينة، فماذا كان جواب سيد الشهداء ؟

قال الحسين: أهذه نصيحة منك، قال نعم والله، قال: إني سأنصحك كما نصحت لي: إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد واعيتنا أو وقعتنا أو وقفتنا، فافعل. فوا الله لا يسمع واعيتنا أحد ثمّ لا ينصرنا إلا أكبه الله على منخريه في النار.

إذن، رفض الحسين اقتراح ابن الحر ونصحه أن يبتعد عن دائرة المعركة، وقد التزم ابن الحر بذلك.

لا يفوتنا هنا أن نسجّل انطباع ابن الحر عن الإمام الحسين، وهو يقول: فوا الله ما رأيتُ أحداً أملا للعين ولا أهيب في القلب منه، ولا والله ما رققتُ على أحد قط رقتي على الحسين حين رأيته يمشي وأطفاله حواليه.

معاناة دائمة

على أي حال، تنتهي واقعة كربلاء بالخبر المفجع الذي راحت أصداؤه تملأ أركان دنيا المسلمين، ويصل خبر مقتل الحسين إلى ابن الحر الذي رفض نصرة سيد الشهداء، فتبدأ معاناته ولا تنتهي حتى وفاته.

من صور معاناته هو الشعر المهتلئ بالندم العظيم على ترك نصرة الحسين، حتى جاء في الكتب التي ترجمت له، أنه تداخله الندم حتى كادت نفسه تفيض. من هذا الشعر قوله:

فيا لكِ حسرة ما دمتُ حياً
تردّد بين حلقي والتراقي
حسين حين يطلب بذل نصري
على أهل الضلالة والنفاقِ
غداة يقول لي بالقصر قولاً
أتتركنا وتزمع بالفراقِ
ولو أني أواسيه بنفسي
لنلتُ كرامة يوم التلاقِ
مع ابن المصطفى نفسي فداه
تولى ثمّ ودّع بانطلاق
فلو فلق التلهف قلب حي
لهمّ اليوم قلبي بانفلاقِ
فقد فاز الأولى نصروا حسيناً
وخاب الآخرون أولوا النفاقِ

مع ابن زياد

بعد الواقعة أقبل ابن الحر حتى دخل الكوفة، فحضر مجلس عبيد الله بن زياد بعد ثلاثة أيام، وكان أشراف الناس يدخلون عليه ويتفقدهم، فلما رأى عبيد الله ابن زياد ابن الحر، قال له: أين كنت ؟ قال: كنتُ مريضاً، قال: مريض القلب أم مريض الجسد ؟! ردّ ابن الحر: أما قلبي فلم يمرض قطّ، وأما جسدي فقد منّ الله تعالى بالعافية!

قال عبيد الله: قد أبطلت (أي: قلت باطلاً) ولكنك كنت مع عدونا (يقصد الحسين)، فردّ ابن الحر: لو كنتُ مع عدوّك لم يخف مكاني، قال ابن زياد: أما معنا فلم تكن، لم ينكر بل قال: لقد كان ذلك. ثمّ استغفل ابن زياد والناس عنده، فانسلّ منه ثمّ خرج.

قال ابن الدينوري في كتاب «الأخبار الطوال»: «ومضى عبيد الله بن الحر نحو أرض الجبل مغاضباً لابن زياد، واتبعه أُناس من صعاليك الكوفة». فنزل المدائن، وقال: «لئن أستطعتُ أن لا أرى له وجهاً لأفعلنّ».

وفي قصيدة هجا بها عبيد الله بن زياد وعاد يبث ندمه الشديد على عدم نصرة الإمام الحسين، قال:

يقول أمير غادر وابن غادر
ألا كنت قاتلت الحسين بن فاطمة
ونفسي على خذلانه واعتزاله
وبيعة هذا الناكث العهد لائمة
فيا ندمي أن لا أكون نصرته
ألا كلّ نفس لا تسدد نادمة
وإن لم أكن من حماته
لذو حسرة ما أن تفارق لازمة
سقى الله أرواح الذين تبادروا
إلى نصره سقياً من الغيث دائمة
وقفت على أجداثهم ومحالهم
فكاد الحشى ينفض والعين ساجمة

يتضح من الأبيات الأخيرة أنه أنشد هذا الشعر بعد فراره من عبيد الله بن زياد، وتوجّهه صوب كربلاء لزيارة الإمام الحسين وصحبه، وهو في طريقه إلى المدائن.

وفي كتاب «نفس المهموم» قوله: «وحكي أيضاً أنه كان يضرب يده على الأخرى ويقول: ما فعلتُ بنفسي، ويردّد هذه الأشعار».

النهاية

يقول المأرخون: ثمّ إن ابن الحر لم يزل يشغب بابن زياد وبالمختار ابن أبي عبيدة الثقفي وبمصعب ابن الزبير، إلى أن هلك ابن زياد وسيطر المختار على الكوفة، فاختلف مع المختار، ثمّ كانت له قصة مع مصعب ابن الزبير انتهت بمقتله غرقاً بعد أن أُصيب بجراحات عميقة، ليسدل بذلك الستار على شخصية مركبة من شخصيات الكوفة.

الحسين (ع).. قتيل العبرة

المفيد: أخبرني أبو عمرو عثمان بن أحمد الدقاق إجازة، قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن مالك قال: حدثنا أحمد بن يحيى الأودي قال: حدثنا مخول بن إبراهيم، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عن الحسين بن علي (عليهما السلام) قال: ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة، إلا بوأه الله بها في الجنة حقباً.

وسام الفرطوسي

قال أحمد بن يحيى الأودي: فرأيت الحسين بن علي [(ع)] في المنام، فقلت:

حدثني مخول بن إبراهيم، عن الربيع بن المنذر، عن أبيه، عنك أنك قلت: ما من عبد قطرت عيناه فينا قطرة، أو دمعت عيناه فينا دمعة، إلا بوأه الله بها في الجنة حقباً؟

قال: نعم.

قلت: سقط الإسناد بيني وبينك.

يا عبرة كل مؤمن

ابن قولويه: حدثني علي بن الحسين السعد آبادي قال: حدثني أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن ابن مسكان، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال الحسين (ع): أنا قتيل العبرة، قتلت مكروباً، وحقيق عليَّ أن لا يأتيني مكروب قط إلا رده الله وأقلبه إلى أهله مسرورا. وعنه: حدثني أبي (رحمه الله) وعلي بن الحسين ومحمد بن الحسن رحمهم الله، جميعاً عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن سعيد بن جناح، عن أبي يحيى الحذاء، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: نظر أمير المؤمنين (ع) إلى الحسين فقال: يا عبرة كل مؤمن فقال: أنا، يا أبتاه قال: نعم، يا بني.

وعنه: حدثني أبي، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن موسى الخشاب، عن إسماعيل بن مهران، عن علي بن أبي حمزة، عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): قال الحسين بن علي (ع):

أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا استعبر.

وعنه: حدثني أبي (رحمه الله)، عن سعد بن عبد الله، عن الحسن بن موسى، عن محمد ابن سنان، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي عبد الله (ع)، قال: قال الحسين (ع): أنا قتيل العبرة.

وعنه: حدثني محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن محمد بن خالد البرقي، عن أبان الأحمر، عن محمد بن الحسين الخزاز، عن هارون بن خارجة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كنا عنده فذكرنا الحسين (ع)، وعلى قاتله لعنة الله، فبكى أبو عبد الله (ع) وبكينا، قال: ثم رفع رأسه فقال: قال الحسين (ع): أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا بكى.

الطريحي: روي عن السيد السعيد عبد الحميد، يرفعه إلى مشايخه، عن منذر الثوري، عن أبيه، عمن أخبره، قال الحسين (ع): أنا قتيل العبرة، ما ذكرت عند مؤمن إلا بكى، واغتم لمصابي.

ثواب زيارته (ع)

وعنه: عن الإمام أبي عبد الله (ع) قال: قال الحسين (ع): من زارني بعد موتي زرته يوم القيامة، ولو لم يكن إلا في النار لأخرجته.

أصحاب الحسين (ع) في الجنة

العياشي: عن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله (ع) قال: دخل مروان بن الحكم المدينة، قال: فاستلقى على السرير، وثم مولى للحسين (ع)، فقال: (ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحسبين). قال: فقال الحسين (ع) لمولاه: ماذا قال هذا حين دخل؟ قال: استلقى على السرير، فقرأ ردوا إلى الله مولاهم - إلى قوله - الحاسبين.

قال: فقال الحسين (ع): نعم، والله رددت أنا وأصحابي إلى الجنة، ورد هو وأصحابه إلى النار.

ومن ألوان الحقد الأموي على الحسين (عم) أنه كان جالساً في مسجد النبي (ص) فسمع رجلاً يحدث أصحابه، ويرفع صوته ليسمع الحسين وهو يقول: إنا شاركنا آل أبي طالب في النبوة حتى نلنا منها مثل ما نالوا منها من السبب والنسب، ونلنا من الخلافة ما لم ينالوا، فبم يفخرون علينا؟ وكرر هذا القول ثلاثاً.

فأقبل عليه الحسين (ع) فقال له: إني كففت عن جوابك في قولك الأول حلماً، وفي الثاني عفواً، وأما في الثالث فإني مجيبك، إني سمعت أبي يقول: إن في الوحي الذي أنزله الله على محمد (ص) إذا قامت القيامة الكبرى حشر الله بني أمية في صور الذر يطأهم الناس حتى يفرغ من الحساب، ثم يؤتى بهم فيحاسبوا، ويصار بهم إلى النار.

فلم يطق الأموي جواباً وانصرف، وهو يتميز من الغيظ.

نقش خاتم الحسين (ع)

الكليني: عن سهل بن زياد، عن محمد بن عيسى، عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الثاني (ع)، قال: قلت له: إنا روينا في الحديث أنَّ رسول الله (ص) كان يستنجي وخاتمه في إصبعه، وكذلك كان يفعل أمير المؤمنين (ع)، وكان نقش خاتم رسول الله (ص): محمد رسول الله.

قال: صدقوا.

قلت: فينبغي لنا أن نفعل؟

قال: إنَّ أولئك كانوا يتختمون في اليد اليمنى وإنكم أنتم تتختمون في اليسرى.

قال: فسكت. فقال: أتدري ما كان نقش خاتم آدم (عليه السلام)؟

فقلت: لا.

فقال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وكان نقش خاتم النبي (ص): محمد رسول الله، وخاتم أمير المؤمنين (ع): الله الملك، وخاتم الحسن (ع): العزة لله، وخاتم الحسين (ع): إن الله بالغ أمره، وعلي بن الحسين (ع) خاتم أبيه، وأبو جعفر الأكبر خاتم جده الحسين (ع)، وخاتم جعفر (ع): الله وليي، وعصمتي من خلقه، وأبو الحسن الأول (ع): حسبي الله، وأبو الحسن الثاني: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وقال الحسين بن خالد: ومد يده إلي وقال: خاتمي خاتم أبي (ع) أيضاً.

وعنه: عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن درّاج، عن يونس بن ظبيان وحفص بن غياث، عن أبي عبد الله (ع) قالا:

قلنا: جعلنا فداك، أيكره أنْ يكتب الرجل في خاتمه غير اسمه، واسم أبيه.

فقال: في خاتمي مكتوب: الله خالق كل شيء، وفي خاتم أبي محمد بن علي (ع) و- كان خير محمدي رأيته بعيني -: العزة لله، وفي خاتم علي بن الحسين (ع): الحمد لله العلي العظيم، وفي خاتم الحسن والحسين (ع): حسبي الله، وفي خاتم أمير المؤمنين (ع): الله الملك.

وفي رواية: وكان نقش خاتم الحسين بن علي (ع): علمت فأعمل.

الطوسي: أخبرني جماعة، عن أبي محمد هارون، عن أبي علي محمد بن همام، قال أبو علي: وعلى خاتم أبي جعفر السمان رضي الله عنه: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، فسألته عنه؟

فقال: حدثني أبو محمد يعني صاحب العسكر (ع)، عن آبائه (عليهم السلام)، أنهم قالوا: كان لفاطمة (ع) خاتم فضة عقيق، فلما حضرتها الوفاة دفعته إلى الحسن (ع)، فلما حضرته الوفاة دفعه إلى الحسين (ع).

قال الحسين (ع): فاشتهيت أنْ أنقشَ عليه شيئًا، فرأيت في النوم المسيح عيسى ابن مريم على نبينا وآله وعليه السلام، فقلت له: يا روح الله! ما أنقش على خاتمي هذا؟

قال: انقش عليه: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، فإنه أول التوراة وآخر الإنجيل.

الأربعينيَّة والكرم العراقي

علي لفتة سعيد

لم تكن الزيارة الأربعينيَّة كما هي الآن حتى قبل بدايات القرن الماضي، فهي ممارسة مستحدثة كما يقول الكثير من الباحثين والمؤرخين وحتى رجال الدين المعتبرين كالشيخ المفيد والشيخ الطوسي والعلامة الحلي والكفعمي الذين اهتموا كثيراً بهذا الجانب.

والسؤال الذي يبرز هنا، إذا كانت كذلك لماذا تفاعلت وفُعلت وأصبحت شعيرة مهمة يمارسها الأغلب الأعم من الناس؟

إنَّ الإجابة على هذا السؤال تحتاج منَّا الى استخدام العقلانيَّة في الطرح وإنْ كانت عقلانيَّة سياسيَّة بحثيَّة. وهي أنَّ الشعوب دائماً تبحث عن أيّة مناسبة من أجل ممارسة فعالية سواء كانت سياسية أو دينيَّة أو اجتماعيَّة وهي بذلك تختلق أي موعدٍ معروف سواء كان تاريخياً قديماً وحتى أسطورياً مثل الاحتفالات بالمواليد أو ممات الشخصيات وذكراهم. ولهذا فإنَّ الواقع السياسي في العراق في القرن الماضي كان سوداوياً وكان واقعاً تحت الاحتلال سواء الاحتلال العثماني وما جاء بعده الاحتلال الانكليزي، ولذا كانت أحد أهم مبّررات وجود الزيارة التي تقول المصادر إنه تقليدٌ حديثُ العهد بدأ في أواخر الستينيات فقد كانت بضعة مجاميع تتوجه إلى مدينة كربلاء قادمة من النجف سائرة على الأقدام من أجل تأدية زيارة أربعينية الإمام الحسين (ع) واستمرت حتى عام 1975م وهو تاريخ منع المسير من قبل السلطة الحاكمة. بمعنى أنَّ المعارضة السياسية سواء من أحزاب مدنية أو دينية تحركت في هذه المناسبات من أجل ممارسة دور التثوير والوعي الذي يؤطّر ضمن المعارضة للواقع، فكانت الزيارة التي بدأت دينيَّة لتتحوّل الى مواجهة مع السلطة والتعبير عن السخط الشعبي وهو الأمر الذي أدى حتى الى ظهور مواكب حسينية لها ردّات سياسيَّة بالضدّ من السلطة منذ وجودها الى الحاضر.

إنَّ الأربعينية التي بدأت كطقسٍ حزني تلبيةً لدعوات الإيثار وحبّ الإمام الحسين (ع) والتعبير عن الولاء الذي يبدأ مع مطلع كل شهر محرم الحرام حتى العاشر منه ذكرى الاستشهاد والتي تقام طقوسه في المدن ذاتها لكن الأربعينية تحوّلت الى طقسٍ حزني عامٍ باعتبار أن أهل البيت رجعوا سيراً على الأقدام من الشام وهو الأمر الذي مكنّ الجهات السياسيَّة والدينيَّة المعارضة من تحويلها الى طقسٍ تعبوي رغم أنَّ الناس على فطرتهم ونياتهم كانوا يرحبون بالزوار، وهنا كنت الانطلاقة الأولى لتبيان الكرم العراقي على أساس التضحية لكل شيء لإعلان الوفاء للإمام الحسين (ع)، وهنا تبدو الأربعينيَّة التي قام النظام السابق بمعنها لتجد لها انفتاحاً كبيراً ما بعد العام 2003 كواحدة من أهم الممارسات الاحتفاليَّة والطقسيَّة لدى المسلمين لتتحوّل الى ممارسةٍ ليست عراقيَّة بل الى ممارسة دول الجوار ومن ثم الى عالميَّة لأنها تحولت من كونها زيارة سياسيَّة الى زيارة طقسيَّة ولائيَّة لتتحول ايضاً الحالة الكرميَّة للعراقي الى التضحية بالمال بهدف إكرام الضيف لتكون الأربعينيَّة واحدة من أوسع الزيارات في العالم وتدخل ربما الى موسوعة غينيس للأرقام القياسيَّة من ناحية عدد الزوار ومن ناحية أكبر موائد الطعام في العالم.

إنَّ الأربعينية لم تعد زيارة ولاء كما في مطلعها ولم تعد زيارة المواجهة من الأنظمة السياسيَّة كما في الأعوام التي سبقت عام 2003 بل تحوّلت الى كل هذه الجهات والفعاليات لأنها تنطلق من عنصر المواجهة مع الظلم، فهي ظلّت محافظة على طقسها الولائي لأهل البيت مثلما ظلّت وفية للمناهضة والوقوف ضد الاحتلال والفساد وما يؤذي العراقيين، مثلما تحوّلت الى عمليَّة كرمٍ كبيرٍ يشتهر فيه العراقي بالاساس وهي بذلك -أي الزيارة- تعدُّ من الفعاليات الجماهيريَّة الشعبيَّة التي لا تتدخل فيها الإدارات الحكوميَّة إلا بالإشراف؛ لأنَّ الذي يسيرها ويخدمها ويقوم على أدائها وإنجاحها الطقسي هم الأهالي الذين انتظموا من خلال المواكب من دون نسيان الدولة ومؤسساتها في توفير الحماية والأمن للزوار، فضلاً عن الخدمات الصحيَّة لأنها ليس من مهام المواكب والزوار.

تصوير: خضير العتابي

تبقى مأساة واقعة عاشوراء علامة شاهدة في تاريخ الإنسانيّة بصفتها تمثل دلالة على البسالة والعنفوان والتضحية لأهل بيت النبوة، وهم يدافعون عن الحق وعن رسالة الإسلام ضد الطغيان، حتى باتت دلالاتها الثقافيّة والحضاريّة من المسائل الشاغلة لفكر الباحثين في مجال علم الاجتماع والانثروبولوجيا لفترة طويلة، كونها تحتاج إلى تحليل رمزيتها الإنسانيّة التي تعدت حدود اهتمام المسلمين الى كل الثقافات التي تقدس الكفاح ضد الطغيان والظلم، لذا كان الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) وأصحابه الكرام، عنواناً بارزاً في التضحية من أجل رد الطغيان، وإعادة النصاب في قيادة الأمة إلى أهله.

البُعدُ الانثروبولوجي لرمزيَّة عاشوراء

د.عبدالواحد مشعل

إنَّ تفسيراً علمياً لكل الرموز التي أنتجتها تلك المعركة يجعلنا نقف إزاء ملحمة بطولية مليئة بالرموز والدلالات التي ترمز الى قيمة وكرامة الإنسان في كل عصر، ولعل رمزيَّة تلك الثورة تعطينا بعداً ثقافياً لكفاح الإنسان منذ القدم من أجل أنْ يكون حراً ويعيش تحت نظامٍ يكفل له العدالة الاجتماعيَّة وعبادة الله وحده. لذا يكون الحديث عن الدلالات الثقافيَّة في بعدها الانثروبولوجي عن ثورة عاشوراء يجعلنا نغوص في عمق الثقافة الإنسانيَّة نفسها لنتمكن من تفسير أحداثها في كل زمان ومكان وتحت كل مسمى يذكرنا بعاشوراء، بعدها رمزاً لكفاح الإنسان من أجل الحريَّة، على أنْ يكون سرداً يتضمن معاني قيميَّة تترجم نكران الذات للبطولة والتضحية ليس من أجل المال أو الجاه أو السلطة، إنَّما من أجل قيمٍ عليا يحتاجها الإنسان لتنظيم حياته وتحقيق شروط العدالة في مجتمعه، وتأكيد قيم السماء وإرجاعها الى نصابها الطبيعي الذي تميز به عصر الرسول الأكرم (ص)، حتى يكون لزاماً على الوصف السردي بعمقه وبعده الانثروبولوجيين، معبراً عمَّا يبغيه الإنسان في أصله وفطرته.

وهكذا تضعنا ذكرى عاشوراء أمام امتحانٍ يتجدد سنوياً، وهو يجدد بنوده مع تطور الحياة، ليعبر عن ثبات منطلقات الثورة الحسينيَّة المنسجمة مع فطرة الإنسان ووجدانه وكفاحه من أجل الحريَّة والعدالة، فالمهم في الأمر أنْ تكون دلالات ورمزيَّة عاشوراء حاضرة في حياتنا، ونحن نتخذ منها طريقاً لمقاومة الظالمين الذين فقدوا القيم الإنسانيَّة من أجل الدنيا والشيطان، تقابلها رؤية الحق، وهي تترجم المعاني العميقة لوجود الإنسان، والمحور السببي لوجوده في الحياة معمراً للأرض ومضحياً من أجل قيمٍ عليا، وهو ما حدث مع ثورة الحسين (ع) وهي تعبر عن الضمير الإسلامي والإنساني، فرمزيتها الثقافيَّة تتعدى حدودها المحليَّة والإقليميَّة إلى حدود التاريخ الإنساني بكامله في ماضيه وحاضره ومستقبله، وهي تذكر الأجيال في الأزمنة بدلالات ورمزيَّة مأساة عاشوراء محاكية الضمير الإنساني في كل عصر، ومشكّلةً منظومة قيمٍ ودروسٍ بليغة للإنسان الذي يسعى للتخلص من الطغيان، ويجعل من حياته عنواناً لرمزيَّة الحريَّة والبطولة.

إنَّ فهم هذه الحقائق على وفق تلك الدلالات الثقافيَّة يعطي للإنسان هويته التي خُلِقَ من أجلها وهي عبادة الله وحده وعمارة الأرض، وإنَّ ذلك لا يمكن أنْ يتمَّ في ظل طغيان، وظلم يهدد كيان الإنسان الثقافي، فكانت ثورة الحسين (ع) تجسيداً حياً لتلك الحقيقة وأعطت رمزيَّة تعتز بها كل ثقافات البشر خلال التاريخ. ويبقى السؤال المحوري هو: كم استفدنا نحن من دروس تلك الثورة الحسينيَّة؟ وهل استوعبنا وفهمنا رمزيتها الدينيَّة والحياتيَّة معاً؟ والإجابة عن ذلك تكمن في مدى صدقنا وإخلاصنا لتلك القيم، ونحن نمارس حياتنا كلٌ في موقعه، ومدى قدرتنا على أخذ النزاهة والعفة والإيمان والعدالة منها؟ وهل تجعلنا قادرين على الأخذ من مساحتها الحقيقيَّة الاعتباريَّة فهماً أعمق للحياة؟، وينبغي ألا يغيب عن بالنا كل ذلك، ينبغي أنْ نسأل أيضاً: لماذا خلق الإنسان؟ ولماذا يثور؟ ولماذا يقاوم الطغيان؟ ثم من الذي أعطى الطاغي الحق أنْ يمارس القهر والحيف ضد قيم المجتمع؟ كل هذه أسئلة تدور حول الدلالات الثقافيَّة التي تؤشر أسباب ثورة الإنسان ضد الظلم في كل حين، وهكذا كانت ثورة الحسين (ع) جامعة لكل تلك الدلالات والرموز لكل البشر وفي كل العصور.

لنفهم بعد ذلك أنَّ تلك الثورة تمثل مؤشراً دالّاً على البطولة والتضحية من أجل الحق والدين، وليس من أجل مجدٍ شخصي أو سلطة زائلة لتصل أبعادها ودلالاتها ومعانيها لكل ثقافات الأرض، فهي إنسانيَّة في شكلها ومضمونها في دفاعها عن القيم الإلهيَّة والإنسانيَّة بكل تجلياتها الكونيَّة.

ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام

الخروج.. المفهوم والمصطلح في معركة كربلاء

حيدر الجابر

تتابعت حركة التدوين منذ واقعة الطف، التي اثارت في عقل الامّة سؤالاً مهماً وخطراً، عن الحد الفاصل بين قدسيّة ثوابت الإسلام وبين حرمة اضعاف الدولة الإسلاميّة، او ما يسمى "شق عصا المسلمين".

وقد تمظهرت حركة التدوين بتوثيق السرديات، التي نقلت ما حصل في المعركة العظيمة، التي جرت صبيحة العاشر من محرم عام 61 هـ، وقد تكررت الأخبار التي جرت في معسكر الحسين "ع"، حتى صارت حوارات دراميّة، ومواقف شجاعة، ومشاهد بطوليّة، وكذلك ما جرى قبل وبعد العاشر من محرم، وارهاصات خروج الإمام الى الكوفة، وقبلها إلى مكة المكرمة، وحتى تداعيات الواقعة، التي افضت إلى حركتين عسكريتين: التوابين والمختار الثقفي، ثم تضعضع الحكم الأموي، وتتابع حركات التمرد، والتي انتهت بعد نحو 60 عاماً بسقوط الدولة الأمويّة إلى غير رجعة، وتحت شعار "الرضا من آل محمد".

إلا أنَّ ما يؤخذ على سير الأولين أنها اكتفت بتوثيق الروايات، وليس تمحيصها، وهو ما انتبه إليه العديد من الكتاب، من بينهم الدكتور فؤاد الشويلي مؤلف كتاب (الخروج).

فقد اتفق الكاتب مع رأي عبد الرحمن بن خلدون الذي انتقد في مقدمته الشهيرة اكتفاء المؤرخ بالنقل بلا دراسة "وكثيراً ما وقع للمؤرّخين والمفسّرين وأئمّة النّقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرّد النّقل غثّاً أو سميناً، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النّظر والبصيرة في الأخبار، فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط".

وخلال المئة عام الأخيرة، نشط المفكرون في إعادة كتابة تاريخ كربلاء، وبرز من بينهم آيّة الله نجف آبادي صاحب كتاب "الشهيد الخالد"، وعلي شريعتي صاحب كتاب "الحسين وارث آدم"، والسيد محمد باقر الصدر صاحب كتاب "الحسين يكتب قصته الأخيرة"، والسيد محمد الصدر في كتابيه: "أضواء على ثورة الحسين" و"شذرات من ثورة الحسين".

ويثير فؤاد الشويلي إشكاليّة حول المصطلح، إذ يتساءل عن صواب إطلاق صفة الثورة أو النهضة أو الملحمة على واقعة الطف، وهو تساؤلٌ يبدو منطقياً في حال تجاهلنا تعميم الأوصاف بسخاء، ويتحدث بواقعيّة وتفصيلٍ عن تعريف كل مصطلح وشروطه، ويقارنها بالحركة الحسينيّة.

وهو بذلك يقترح مصطلحاً يراه أكثر واقعيّة.. "الخروج"، إلا أنّه يفرق بحذرٍ بينه وبين الخوارج، أول طائفة تكفيريّة في الإسلام.

ويركز كتاب (الخروج) - كما يتبين من عنوانه الفرعي - على فعل الحسين "ع" ونصوصه وحواراته، وهو بهذا يعتمد على الحوار كدليلٍ على مسار الأحداث، وقد نتفاجأ بكميّة الصبر التي تمتع بها الكاتب وهو يراقبُ النصوصَ، ويفحصها، وبتفصيلٍ ضروري، للخروج بنتائج تصمد أمام النقد.

ويثير الكاتب - وهو رجل دين أولاً - استفزاز القارئ التقليدي، إذ يثبت أنَّ أهل المدينة المنورة لم يكونوا حسينيين، وأنَّ ثلاثة من زعماء بني هاشم، وهم صحابة وتابعون، كانوا سلبيين جداً، ولم يحركوا ساكناً أمام الدعوة الحسينيّة للالتحاق، وهم حبر الأمة عبد الله بن عباس (رض)، وعبد الله بن جعفر الطيار (رض)، ومحمد بن الحنفيّة (رض)، ثالث أبناء الإمام علي "ع".

وكذلك، يعدُّ د. فؤاد الشويلي أنَّ الشهادة تشمل الناجين من المعركة، والمقتولين، وأنَّ الفتح، الذي بشر به الإمام الحسين "ع" سيقتصر على من يلحق به، ويؤكد أنه حالة عباديّة محضة.

ويعارض المؤلف ما يمكن أنْ نسميه "عقلنة مشروع الحسين"، ويدعم معارضته بعدة مواقف ذكرها المؤرخون، إذ لا يعقل مثلاً أنْ يرفض ثائرٌ ما عرضاً سخياً بالحماية واللجوء والنصرة، ولا عرضاً آخر من والي مكة بالأمان وتنفيذ المطالب، ويشمل ذلك التفسير غير الواقعي لقرارات الحسين "ع"، والسبب هو: أنَّ الحسين "ع" ينفذ أمراً إلهياً، وقد ذكر ذلك أكثر من مرة، وهو ما يبرر رفضه البقاء في مكة، والاعتصام بها، أو الذهاب الى اليمن للانطلاق من هناك بالثورة.

يساير الإمام الحسين "ع" الأحداث كما هي، فهو سلمٌ لمن سالم، حربٌ لمن حارب، إنَّ قضيته الأساس هي رفض بيعة يزيد بن معاوية، هذا الرفض الذي يستوجب الرحيل عن كل أرضٍ ترى أنَّ البيعة أمرٌ مفروغٌ منه دينياً.

يمكن القول إنَّ كتاب "الخروج" يطرح أفكاراً قابلة للنقاش، وأنه يحوم حول تفصيلات القضيّة الحسينيّة، بعيداً عن العواطف والآراء المستنسخة.

ويمكن أنْ يشكل الكتاب بادرة جديدة لرؤية متميزة، تضيف للمكتبة الفكريّة ما يمكن أنْ يدفع الجيل الجديد إلى البحث والاستقصاء.

شخصياً، أظنّ أنَّ ما جرى في كربلاء يحتاج الى رؤى جديدة ومبتكرة، تبتعد عن الإنشاء، وتقترب من الإبداع، الذي يحتاج بدوره إلى عقولٍ متحفزة، تتمتع بالنشاط والرغبة في الوصول إلى المعلومة، أو إلى الحقيقة.

الرمزيَّة في زيارة الحسين «ع»

يعقوب يوسف جبر

مـاذا تمثل زيارة الإمام الحسـين عليه السـلام لمحبيه من جميع الطوائف؟ تمثل نشـاطاً مقدسـاً من خلاله يسـتذكر المحبون صفات هذه الشـخصيَّة وأهمها صفة التضحيـة الإيجابيَّـة، فلم يتخل الإمام الحسـين "ع" وآل بيته وأصحابـه أثناء حياته وأثناء معركة الطف عن مبادئه رغم تعرضه لمنتهى القسـوة مـن قبل مناوئيه، والتي بلغ مسـتواها درجـة تهديده بالقتل مـع آل بيته وأصحابه ما لم يتنـازل عن مبادئه وصفاته، فهم أرادوا منـه أنْ يهادن السـلطة الباغية، التـي أضاعت حقوق المجتمع وفرطت بالمساواة بين أفراده، وحرفت أحكام الدين والشـرع، لكنَّه أبى الخنـوع والمهادنة مدركاً الى درجة اليقين أنَّه سـينال الشهادة أبياً بعد دفاع شريف ومشروع عن قضيته العادلة.

نعم ضحَّى مجسـداً التضحية بأبهى صورها النقيَّة رافضاً الحيـاة الرخيصة التـي عرضها عليه أعـداؤه وهي حياة الذل والهوان.

فلـو كان قـد اسـتجاب لهذا العـرض المغـري فمعنى ذلـك أنَّـه منـح الشـرعيَّة للسـلطة بوصفه سـبط النبي "ص". فالمهادنة للسلطة الظالمة هي رواج ثقافة السلطة وزوال ثقافـة الإسـلام الحقيقي، وانتشـار ثقافة الظلم واستفحالها حتى تتحول الى مسلمات ومبادئ مقدسة.

من هنا يمنح اسـتذكار مأساة الحسين "ع" درساً لزواره كيـف يرفضـون العبوديَّة التي دأبت السـلطة الحاكمة آنذاك على ترسيخ مبادئها وتحويلها الى فضيلة.

بل عملت السـلطة الأمويَّة على إقناع الرأي العام آنذاك أنَّ الحريَّـة تتناقض مع سياسـة السـلطة وتتناقض مع مبادئ الدين وأنَّ العبوديَّة والخضوع للسلطة الغاشمة هو الأساس المتين لبناء المجتمع والحفاظ عليه.

لكـنَّ الحسـين "ع" تحـدى هـذه الآراء الخاطئة وبين من خلال سيرته وخطاباتـه واحتجاجاته أنَّ صلب الدين هو تحرير الإنسان من عبوديَّة الإنسان.

ويقينـاً عنـد ضريـح الحسـين "ع" سـيظل الزائـرون يسـتذكرون كيف حاولت السـلطة الأمويَّة في عهد يزيد أنْ تنـال من الإنسـان ومكانته وتحوله الـى أداة طيعة بيدها، فلـم تكتف بتطبيـق هذه السياسـة على عامَّة المجتمع بل أرادت أنْ تطبق هذه السياسـة على أفذاذ المجتمـع، ومنهم الإمام الحسـين "ع" لكنه كان جبلاً من الصمود، لم يهتز أو يترنح بل بقي ثابتاً صامداً.

هنالـك محاولات فـي العصـر الراهن من لـدن المعاديـن للحسـين "ع" ومحبيـه قوامها تسفيه فعاليَّة الزيارة وتشويه صورتها الناصعـة، وعدّها بدعـة وانها مجـرد فعاليَّة عبثيَّة لا تضر ولا تنفع.

لكنَّ هـذا الـرأي مـردودٌ على من ذهـب إليه، فالغايـة الأساسـيَّة مـن زيارة الحسـين "ع" هي تهذيب الذات باتخاذ الإمام الحسـين "ع" أسـوة حسـنة، فـي كيفيَّـة التحلي بالإيثـار والدفـاع عن المظلوميـن والوقوف بوجـه الظالمين والفاسـدين والمطالبة ببناء مجتمعٍ صالحٍ رسالته الإسلام الحنيف.

السرُّ الكامنُ في عالميَّة الأربعين

يونس جلوب العراف

في الكون ثمة أسرارٌ تعرَّف عليها البشر من خلال الاكتشافات العلميَّة، لكنَّ هنالـك أسـراراً لا يمكـن الوصول الى كنـه حقيقتهـا ولا يسـتطيع العلمـاء إيجاد تفسـيرٍ لها، والسـبب في ذلك كونها روحانيَّـة أكثر من كونها ماديَّة، ومنها زيارة الأربعين، فهناك سرٌّ كبيرٌ يقـف وراء توجـه جمـوع الزائرين الى كربلاء في العشرين من صفر الخير في زحفٍ مليوني من مختلف أنحاء العالم يتنامـى يوماً بعد آخـر حتى تحول الى تظاهـرة سـنويَّة هـي الأقرب الـى أنْ تكون ظاهرة عالميَّة.

إنَّ المتعمق في شؤون القضيَّة سيقول بالتأكيـد إنَّ السـرَّ هـو عمـق الثـورة الحسـينيَّة ومـدى ملامسـتها لهمـوم الحائرين، وقدرتها علـى تغيير الواقع المرير الذي سعى سـيد الشهداء عليه السلام الى استبداله وتبديد قوى الشر والظـلام التـي أطبقت علـى مفاصل المجتمع ومنعته من النهوض والتقدم في مجال حقوق الإنسان تحديداً التي هي المرتكز الأسـاس الذي سـعى إليه أبو عبد الله في إعلان ثورته على الظلم وترسيخ مبادئ العدالة الإسلاميَّة التي جاء بها نبي الرحمة محمد (ص).

عالميَّـة زيـارة الأربعين تتوضـح يوماً بعـد آخـر مـن خـلال زيـادة أنصار القضيَّة الحسـينيَّة على امتـداد الكرة الأرضيَّـة؛ وذلـك لكـون المبـادئ الإنسانيَّة هو ما يبقي الفكرة الحسينيَّة في التخلص من الظلم متوهجة الى ما نهاية ويمكن القول إنَّ زيارة الأربعين هي رجـعُ صـدى أصـوات الثائرين، لغـرض تحطيـم العـروش الواهيـة والقصـور البالية، فهـي المعول الذي دكَّ حصـون الظـلّام وهي مـا يجعلها تختلـف مـع الثـورات الأخـرى التـي أصبحـت مندثـرة، وماتـت أفكارها، بينما هـي تبث الى يومنـا هذا مبادئ الديـن الإسـلامي الحنيـف وسـتبقى كذلك فالمواكبة على السير الى كربلاء تعنـي أنَّ السـائرين لا تـزال عروقهم تمتلئ برفـض الظلم، وتعبر عن مدى الاستعداد المتواصل لنصرة كلمة الله التي أراد ترسـيخها أهل البيت عليهم السـلام فـي الإنسـان علـى اختلاف مشاربه.

وفي مقابل من يقف بالضد من الزيارة سـيرى المراقب المنصف أنَّ السـائر بخطوات العشـق الى كربـلاء اليوم، موازيـاً لموقـف من وقف الـى جانب السـبط الغريـب ذلك اليـوم، حين قلَّـت حيلته وكُسـر ظهـره، فلا فارق ولا انفصال بينهم سـوى الزمان الذي افتخر بتسجيل أسمائهم على صفحاته المشـرقة، فمـن يتحمـل تقلبـات الظـروف الجويَّـة وقسـوتها، من حرٍ وبردٍ وأمطارٍ هو حاملٌ لرسـالة قدسيَّة مفادها أنَّ الإيمان بالقضيَّة يحتاج الى التضحية بجميع أشـكالها، فالمشاركة بمسـيرة الأربعين يعني الانضمام الى جيـش المطالبـة بالحقـوق ونصرتها وهـو دأب العراقيين الذيـن كانوا وما زالـوا المناصر الأول للإمام الحسـين عليـه السـلام انطلاقاً من كونـه أول من أسَّـسَ أسـاسَ الدفاع عـن الحق واستشهد في سبيله.

تصوير: حضير العنابي

حين انتصر الدم على السيف

عباس الصباغ

يتوهم الطغاة ومستعبدو الشعوب أنهم بالقضاء على الحركات التحررية والتنويرية والجهادية، قد ساهموا بقمعها والتخلص منها إلى الأبد، ولا يدرون أنهم قد ساهموا بمنحها حياة جديدة خاصة وخلودا خاصا بعد اضطهادهم لشهداء تلك الحركات، وكما أعلن الإمام الشهيد عليه السلام عن برنامجه الإصلاحي التنويري الشامل في رسالته المقتضبة لأخيه محمد ابن الحنفية (رض): (إنّي لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أُمّة جدّي محمد (ص) أُريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي محمد (ص) وسيرة أبي علي بن أبي طالب)، ونتيجة للصلابة في الطرح فقد جوبه برد عنيف وقاس ووحشي غير مبرر من أزلام السلطة الأموية، أدى إلى تلك النهاية المأساوية له باستشهاده، ولجيشه الصغير المكون من جماعة من أهل بيته وبعض الأتباع المخلصين على أرض كربلاء سنة 61 هـ.

المعركة غير المتكافئة انتهت بإبادة ذلك الجيش الصغير الذي كان الإمام الشهيد (ع) على رأسه، وانتهت سويعات يوم الطف الدامي، لكن القضية قد بدأت واستمرت ولم تتوقف لأن البرنامج الذي أعلنه الإمام الشهيد (ع) لم يكن مجرد شعار استهلاكي يراد منه كسب الأتباع أو لمصلحة سياسية دنيوية بحتة، فهو برنامج إصلاحي شامل وعلى جميع الصعد والمجالات، ابتداء من قمة الهرم السياسي الفاسد، وليس انتهاء بتفاصيل الأسرة والمجتمع التي شابها الكثير من التشوهات والانحرافات .

كان الإمام الشهيد (ع) يريد إصلاحا استراتيجيا لكل مفاصل ومحاور الحياة والمجتمع، على طريقة جده الرسول (ص) الذي فتح أبواب الحياة الكريمة لأناس عاشوا الجاهلية بكل أدرانها ومفاسدها وظلاماتها وحيثياتها المرعبة، وليس كما يتوهم البعض من المؤرخين أن حركة الإمام الشهيد (ع) كانت من أجل السلطة حين بايعه أهل الكوفة، بأن (اقدم فقد اينعت الثمار واخضرّ الجناب وإنما تقدم على جند لك مجندة)، وحين وصل إلى كربلاء وجد الأمر مقلوبا، فلم ينل السلطة وكان عازفا عنها كأبيه علي بن أبي طالب (ع) حين بايعه المسلمون جميعهم بعد مقتل الخليفة الراشد عثمان، إذ قال لهم: (اتركوني والتمسوا غيري) وأعرضَ عنهم، وبعد إلحاحهم الشديد قبل العرض منهم خشية من أن تؤول الأمور إلى غير الكفوء، وهكذا كان الإمام الشهيد (ع) سائرا على خط أبيه .

الانتصار الزمني والعاجل بسحق ثورة الحسين سحقا غير أخلاقي، لا يعني أن الثورة انتهت، فهي لم تنته بل فتحت الباب مشرعا أمام الكثير من الثورات والانتفاضات الجهادية والاستشهادية، كلها استمدت من ثيمة استشهاد الحسين (ع) ومن ثيمة كربلاء والطف الكثير من البرامج والشعارات والأخلاقيات، وإن لم تحظ أغلبها بالنجاح بعد أن قدمت الكثير من التضحيات والدماء والأرواح، لكنها تعلمت من الحسين ذلك الشعار الخالد، (هيهات منا الذلة)، وتعلمت كيف ينتصر الدم المسفوح على السيف الظالم، فانتصرت كما انتصر الحسين بدمه، وخاب الظالمون من أزلام السلطة الجائرة والفاسدة .

زيارة الأربعين .. هُتافٌ وصَيْحة .

تصوير: خضير العتابي

عصام كاظم جري

الصَّبرُ لغة: نقيض الجَـزَع، وهو: حبس النفـس، وكفّها، أمّا شـرعاً فيذهب إلى معنى الامتنـاع عمّا حرّمـه الله تعالى، وأداء مـا أوجبه الله من فرائض، والصبـر هو الابتعاد عـن الجـزع، بمعنى الرضا بما قـدره الله تعالى، من دون اعتـراض. ويُقصَد بالصبر في الاصطـلاح الشـرعيّ: الثبات على ما ورد في القرآن الكريم، والسـنّة النبويّة الشـريفة، والقدرة الإلهية .

ويمتحن الله تعالى صدق إيمان الإنسان بمجموعة من المصائب، وجاء في قوله تعالى: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ).

ومـن أسـباب المحن والمصائب تربيـةُ نفوس المؤمنين في معـرض الحياة، وإن صبر المؤمـن عند الابتلاء يعدُّ أحد أسـباب رفع درجته ومكانته عنـد الله تعالى، ولهذا على الإنسـان اسـتبعاد اليأس والقنوط مـن رحمة الله إذا مـا تعرض إلى مصيبـة، فالجزع والملـل لا يعدان من صفات الإنسـان المؤمـن، ولنا في صبر الإمام الحسـين بن علي وأهل بيته عليهم السلام أسوة حسنة، ففي يوم عاشوراء، لم يعرف الإمام معنى اليأس، لهذا انتصر على الآثار السلبية للجزع والقنوط واليأس والملل وسيف الطغيان.

فالإمام عليه السلام وسـط هذه المحنة يقف شاكرا لربّه راضيا بقضائه وقدره، وهو على معرفة بأن رحمة الله وَسِـعت كلّ شـيءٍ، وجاء في قوله تعالى: (وَرَحمَتي وَسِـعَت كُلَّ شَيءٍ).

ولهـذه الصفات كرّم الله تعالى "سـيد الشـهداء" بمجموعة من الكرامات، منها مسـيرة زيـارة الأربعيـن، ويرى العالـم العربي والغربـي والمراقبون والإعلاميـون والخبراء في الشـأن الإسـلامي، أن زيارة أربعينية الإمام الحسـين عليه السـلام أصبحت منارا بارزا وعلامة من علامات الأمة الإسـلاميّة وغير الإسـلاميّة أيضا، فإنسـانيّة الإمام الحسـين عليه السـلام مطلقة ومباحة للجميع . ينطلق للزيارة الأربعينية المسـلم وغير المسلم، مـن دون عناوين، ومن دون رتب ومقامات. إن هذا الامتداد في الزحف رسّـخ بشـكل لافـت مبادئ الثورة فـي القلوب والضمائر والأرواح . إذاً نحن اليوم لسـنا بحاجة إلى ما يقوله الباحثون، سـواء أكانوا أسـلاميين أم غير إسـلاميين ، فالتظاهرة المليونية التي تشـهدها كربلاء تمرُّ كالشـريط أمام العيون وتخطف نبضات القلوب، وبالمجمل فإنها تـدل على وعي الأمة الإسـلاميّة بما حملته الثورة من دلالات ومواقف ومعان سـامية، أخلاقية واجتماعيّة وإنسـانيّة خالدة. إن توافد الملايين لإحياء زيارة الأربعين في ظل هـذه الظـروف السياسـيّة والاجتماعيّة التي تعيشـها المنطقة، دليل علـى وعي وتقدّم ووحـدة الشـعوب في إطـلاق صيحة العدالـة التي غيبهـا بعض الأنظمة الاسـتبدادية الرجعيـة الحاكمة . وتبقـى زيارة الأربعين هتافا عفويا يصدر من قبل الشـعوب الواعية بقضية محاربة الطاغوت والاسـتكبار، وتتمحور هذه الشعوب حول قضيتها في إنصاف المظلوم، والانتصار على الظالم، مثلما انتصرت الثورة على السيف .

إن رمزية زيارة الأربعين في رسـم صورة عن التلاحم بين الشـعوب الإسـلاميّة العربيّة وغير العربيّة .

ولـن يفلح مـن يحاول أن ينفق الملايـن من الدولارات لتفعيـل فضائيات تعمل على التّعتيـم الإعلامـي، وتضليل الرأي العـام. إن زيارة الأربعين دحضـت كل المحاولات العدائيّة التي ما انفكت عن فعل التفرقة بين الشـعوب الإسـلاميّة، وتكمن أهمية هذه المراسيم بخروج الشعوب الإسلامية في وقت واحد لأدائها بضمير نابض بالإنسانيّة.

وتظـل زيـارة الأربعين تحمـل مضامين سياسـية واجتماعية واسـعة النطـاق، حتى أصبحت رسالة تنتقل من جيل إلى جيل في مواجهة الظلم والطغيان.

عاشوراء والتحدي العضوي

د. جبار خماط حسن

محزون من يفتقد شخصا، يتيه في ألم الوجع، ينتظر حضوره رمزا وليس تحققا ماديا، ولكن ماذا لو فقدنا مشروعا إصلاحيا، أراد إحياء جديدا لدين تحول حكرا عائليا يعود بالمنافع على بطانة السلطة, في حين نجد الناس في فقر مدقع، هذا المشروع تبناه الإمام الحسين، ليحقق العدالة والمساواة، عدالة توزيع الفرص، والمساواة في خراج بيت المال لكل الناس، فلا فرق بين الأبيض والأسود إلا بالتقوى، ولا فقير ولا مسكين في أمة إسلام.

يقول الجرجاني: قد نرى الصورة تكمل شرائط الحسن، وتستوفي أوصاف الكمال، فإنها أدنى للقبول وأعلق بالنفس وأقرب إلى القلب "، هكذا نجد واقعة الطف، اكتملت صورتها، استوفت أوصاف الكمال، فانعكست على النفس إيمانا وفعلا إصلاحيا .

علينا معرفة حركة التاريخ، وكيف أنتجت نمطين من الحركة، إحداهما بيد السلطة تتحكم بالرعية وتدمر وجودها بالبطش والطغيان، والحركة الثانية موازية تمثل المعارضة التي توالدت بعد استشهاد الإمام الحسين، تعمل بالأفكار الجديدة التي تقوض من بنيان تلك الأنظمة الاستبدادية، التي تواجهها بالقمع والتنكيل، لكنها حركات استمرت لترى مشروعها الإصلاحي قد تحقق بعد حين . وهنا أستحضر ما قاله الجواهري، تعبيرا عن حالة المعارضة التي في قيدها مفتاح للحرية :

كأن القيود في معصميه
مفاتيح مستقبل زاهر

وفي موضع آخر ، يبين لنا أن طريق التغيير الإيجابي ، يتطلب تضحيات، تمثل طريقا سالكا نحو السلام المجتمعي والحكم الرشيد .

يقول الجواهري :

لثورة الفكر تاريخ يحدثنا
بأن ألف مسيح دونها صلبا

هكذا نرى واقعة الطف، انطلقت من قول "مثلي لا يبايع مثله "، تناقض في الفكر والأداء، أحدهما / الحسين، يريد الإصلاح في أمة جده / وكأنه مصداق لقول الرسول محمد (ص) حسين مني وأنا من حسين، تماثل في الفكر والمنهج .

وفي المقابل / يزيد، ونجد منهج الاستعلاء والاستبداد والقهر المجتمعي، فالحكم لديه ملكية عائلية صرفة، لا شأن للرعية بها ، لا يحسب لهم رأي ، ولا يسمح لهم بمبادرة .

تصوير: خضير العتابي

نحن أمام منهجين، الأول إصلاحي يؤمن بالإنسان ، إذ لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى، والثاني منهج استعبادي - قهري، يهدم ولا يبني ، يقطع ولا يصل .

هكذا كانت واقعة الطف في العاشر من شهر محرم، انتهت بانتصار الشهادة، لأن مشروع الإصلاح الذي تبناه الحسين (ع) ما زال حيا، يتجدد في النفوس والعقول لدى كل مؤمن بالتغيير الإيجابي . هكذا يتوافد الملايين من العراق وخارجه لإحياء ذكرى مقتل الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) في العاشر من محرم، في مدينة كربلاء جنوبي بغداد، تجمعات مليونية، تزحف إلى كربلاء، لتعوض ما فقده الإمام الحسين آنذاك حين بقي وحيدا من دون إخوته وأبنائه وأصحابه، يأتون كل عام، يرددون هتافهم المدوي: لبيك يا حسين .. هذا التبادل في الحالات والأزمنة والانتماء جعل من مشروع الحسين عضويا يتوالد مع حركة التاريخ وتحولات الواقع المعاش . لم ينصرك في زمنك إلا القليل، ونحن كلنا معك، نمشي على طريقك التنويري، الذي فيه حياة وكرامة وسعادة .

لم تعد وحدك، إذ الجميع معك، نصرة لمشروعك الإصلاحي، وتعديلا للمسار في واقع يعاني الفساد السياسي والاقتصادي والإداري .

ها هي زيارة الأربعين تجمعنا, تجمع بشري هائل، يقدم الولاء لقائد لم يمت فكرا وسلوكا، لم يرض بالضيم وقهر الطغاة، كل عام يتجدد الولاء، يتجدد هذا الفعل الطقسي الذي قل نظيره، يقوم على المشي من جهات العراق الأربع صوب كربلاء، لا ينحصر الولاء محليا، بل يتعداه ليكون إقليميا ودوليا، إذ نجد المطارات حيوية ونشطة في استقبال الزائرين الذين جاؤوا من إيران وأوروبا والهند وباكستان ودول الخليج لأداء طقوس إحياء هذه الذكرى .

المواكب الخدمية مائدة متنوعة المأكل والمشرب، تقدم للزائرين، وسط إجراءات أمنية وصحية اتخذتها الوزارات ذات العلاقة بالشأن الأمني والصحي والخدمي .

نعيش عاشوراء بالتزامن مع اشتعال الأوساط الإسلامية رفضا لحرق القرآن في السويد والدانمارك، نجده انعكس في كثير من الممارسات الشعائرية العاشورائية، إذ نجد القرآن حاضرا، فالحسين وتوجهه الإصلاحي، تطبيق عملي أصيل لمبادئ القرآن الكريم .

ما زلت أردد ذلك الدعاء المهيب، الذي يخرج من قائد ثابت محتسب، لا يخيفه جمعهم الكبير، حاصروا مخيمه، أضرموا النار فيه، في العاشر من محرم، إذ يقول الحسين: اللهم أنت ثقتي في كل كربٍ، ورجائي في كل شدّة، وأنت لي في كل أمرٍ نزل بي ثقةً وعدّةً، وأنت ولي كل نعمةٍ، وصاحب كلّ حسنةٍ، ومُنتهى كلّ رغبة.

البداية هي الله، وثقته المطلقة، والنهاية هي الله المنتهى لكل رغبة أو توجه، انتصار فكري انتقل إلى الكثير من الحركات الثورية والإصلاحية التي اتخذت من الحسين وحركته الإصلاحية منهجا في محاربة الظلم والطغيان . إن الحسين استشهد في المعركة، إلا أنه كان منتصرا من خلال مبادئه، إذ أثارت مبدئيته وثباته في كربلاء سلسلة من الانتفاضات الصغيرة ضد نظام يزيد المستبد، مما أدى إلى انهيار هذا النظام .

عاشوراء ودرس النظام

رعد كريم عزيز

تصوير: خضير العتابي

كل عادة اجتماعية دينية، يمارسها العقل الجمعي وفق الموروث الممتد لآلاف السنين، يمكن أن تصبح فرصة لخلق أنظمة جديدة، تسهم في خلق نظام اجتماعي سياسي اقتصادي جديد، ويكون تطبيقه سهلا جدا لا يحتاج إلى توضيح أو تدريس نظري، خاصة إذا استغل المقيمون عليه الطاعة السلسة، وفق سلسلة دينية تنحاز إلى الحق والطهارة ونصرة الحق، وطقوس عاشوراء على الرغم من سعتها وتنوعها، فإن ما يرافقها من ممارسات حياتية تتخذ أحيانا صفات لا يتقبلها أغلب الناس نظريا، لكنهم يمارسونها عمليا مضطرين بسبب العادات المتوارثة، وكمثال على ذلك رمي النفايات بالطرق العامة وهم يسيرون لمئات الكيلومترات باتجاه كربلاء المقدسة، ولكن إذا وجهت قيادات المواكب الناس لرمي النفايات في أماكن مخصصة، وفق مسافات محددة، حتى تصبح عادة يمارسها المواطن للحفاظ على البيئة، ومن ناحية ثانية يمكن توجيه الزائرين إلى الاقتصاد بالأكل والشرب - ونحن بأزمة مياه- لكي ننبه الشباب منهم إلى أن العطاء ليس بالتبذير وصرف الأموال من دون رقيب، ولو عمدت الجهات المعنية إلى استقطاع مبلغ زهيد من كل زائر، لتبني في كل سنة مدرسة في النجف وكربلاء، فإن هذه الأفعال الواضحة للعيان تعطينا دروسا في الاستفادة من موارد أغلبها يذهب هدرا من دون تخطيط .

وهناك جانب آخر هو طبيعة الشعارات المرفوعة التي يعمد إليها بعض الشباب، والتي تتمثل في الاستفادة من دروس الشهادة في الإيثار والمطالبة بتحسين الأوضاع الاقتصادية، حتى تتحول ممارسات شهر عاشوراء إلى دروس تحقق النظام وترسم مستقبلا يليق بدروس شهادة الإمام الحسين(ع) وأتباعه، على الرغم من أن هذه الخطط تحتاج إلى إرادة حقيقية، بتوجهات متطابقة عند رجال الدين، لتوجيه العامة نحو المسير في طريق قويم يحقق الرقي والتقدم، بأبسط الطرق التي لا تحتاج إلى تطبيقات قانونية وأعداد بشرية كبيرة، لأن الزائر يذهب بجوارحه ولا يملك إلا الطاعة والقبول بقوانين لا يختلف اثنان على صحتها .

ولا ننسى التذكير باستفادة الحكومة من الزيارة لتفعيل السياحة باعتبارها موردا يمكن أن يسهم في بناء المدن العراقية، وهي تستقبل ملايين الزائرين وفق إحصاءات تعلنها الحكومات المحلية كل عام، من داخل العراق وخارجه.

ولا نعتقد بأن في الأمر صعوبة في التنفيذ، فخطوة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة كما يقال.

كربلاء
أسطورة الخلود

هشام داوود

من منّا لا يشكل الموت كابوساً له ؟ ومن منا الذي لا يهرب مباشرةً عندما تراوده فكرة الموت وأنّ مصيره سيكون ذات يوم مجرّد جثة وتنزل يوماً ما إلى القبر وحياة أسرته وأصدقائه تستمر من دونه ؟ الجواب لا أحد.

فالجميع يتوجّس من فكرة الموت والجميع يذعر من مجرد أنْ تراوده هذه الكلمة ولو لثوانٍ، لذلك يهرب في محاولة لتجنّب التفكير وتخيّل الموت.

لذلك فإنّ الخلود أمنية تسكن كلَّ البشر، سواء عبّروا عنها أم لم يعبّروا، سواء وقعوا في حبّ الحياة وملذاتها أم زهدوا فيها، ففي النهاية يتمنى كلُّ إنسان أنْ يُخلّد اسمه جيلاً بعد جيل، وأنْ يستمرَّ الحزن عليه وعلى ذكراه دون أنْ يتم نسيانه من قبل أهله وأصدقائه، ولعلَّ هذه الأمنية هي أصعب غاية على الإنسان إنْ لم تكن أحد المستحيلات.

وحده الحسين بن علي (عليهما السلام) الذي حقق هذه الغاية، وتتجسّد العظمة في الحسين بأنه لم يحققها بين أبناء وسطه من بني أهله وقومه وخاصته فحسب، لأنه سخّر الخلود نفسه في قضيَّة الحزن عليه. في كلّ عام وتحديداً في الأيام الأخيرة التي تسبق ليلة الأربعين، وأنا أتطلع وأراقب حركة الأمواج البشريَّة المتدفقة صوب ضريح أبي عبد الله، تبدأ الأسئلة تنهال على عقلي مثل المطر، فمنها على سبيل المثال، أي قوة خفيَّة تجعل من كربلاء تماماً وكأنها المدينة الفاضلة التي تخيلها أفلاطون ؟ الجميع يقدم الخدمة للجميع، الجميع ينفق من جيبه من أجل الجميع، الجميع يتعب لأجل راحة الجميع، ليأتي السؤال الآخر، أليسوا هم أنفسهم من كانوا قبل بضعة أيام يتنافسون في البيع والشراء ويتسابقون الواحد مع الآخر لنيل المكاسب، فكيف تكاملت أخلاقهم في سبيل الحسين وصاروا ملائكة بهيئة بشر الأمر الذي عجزت فيه كلُّ الأديان والشرائع أن تجعلهم على ما هم عليه من صفات في حضرة الحسين ؟

هل هو الثائر الوحيد في الكون ضدَّ الظلم ؟ بالتأكيد لا، هل هو الشخص الوحيد الذي وهب دمه وروحه من أجل أبناء قومه ؟ الجواب أيضاً لا، فقد سبقه الكثير من الأنبياء والصالحين الذين قدّموا أرواحهم قرابين من أجل غيرهم، إذاً فلماذا الحسين يتميز عنهم بأنْ صارت ذكراه تمرّ كلَّ عام وكأنها لم تمرّ على الناس من قبل ؟.

فأيّ عظمة هذه وأيّ سرٍ عظيم في الحسين.

وما أنْ أحاول التفكير في أمر آخر لأريح دماغي إلا وجدت نفسي محاصراً بمجموعة غيرها من الأسئلة، وإنْ حاولت أنْ أفكر في الموضوع وأنظر للمشهد بعين شخص غير مسلم فإنَّ أمواج التفكير ترمي بي صوب شاطئ العظمة الحسينيَّة، فهذه الجموع الغفيرة التي تأتي سيراً على الأقدام من أقاصي آسيا بملامحهم الآسيويَّة، صينيين وغيرهم، هنوداً وغيرهم، أفارقة وأوربيين، ماذا يعرف المسلمون عن أمواتهم ؟ وماذا يعرف الفرد المسلم عن هؤلاء الأقوام ومن يخلدون أو يقدسون ؟ وإنْ تفوقوا وسبقوا المسلمين في الانفتاح عليهم، فلماذا لم يعرف هؤلاء من أموات المسلمين غير الحسين ؟

أيّ كلام يصف الحسين وأيّ كلمات تفي عظمته وتعطيها حقها ؟

وتنتهي المناسبة الخالدة، وتنسحب الجموع البشريَّة ومعها تنسحب شيئاً فشيئاً علامات مدينة أفلاطون، لكنَّ روحانيَّة كربلاء لا تنتهي أبد الدهر، فضريح الحسين المشع نوراً أبداً، يقابله ضريح أخيه أبي الفضل العباس الذي يُشعرك سوره وتجعلك مناراته تتخيّل نفسك وكأنك تكلمه وبروحانيَّة منقطعة النظير، وعلى مقربة من الضريحين هناك المخيم الذي أقام فيه الإمام وأهل بيته، وحول الضريحين تجد الكثير من القباب الصغيرة ومن بينها مكان قطع كفّ العباس، منظر ومشاهد أجزم بأنها تدفع المرء لأنْ يتخيّل أنَّ المعركة انتهت قبل ساعات وليس قبل ألف وأربعمئة عام، فهل يُعقل ألا تكون كربلاء معجزة.

مشاهد من أيّام الأربعينيَّة

أحمد كامل السراي

مـع صـوت خُطـى الزائرين السـائرين لكربـلاء، وهم يسـتغلون الشـعاع الأخير لقرص الشمس قبل غروبها، يتزاحم فـي تلـك اللحظات أصحـاب البيـوت القريبة ليسـتضيفوا الزائرين في بيوتهم، وهنـاك طفلٌ صغيرٌ جالسٌ على الرصيف يكفكف دموعه على خدّيه، فيدنو إليه أحد الزائرين ليعرف سـبب بكائـه فقد يكون تائهاً من أهله فيسـأله بُنيّ ما يُبكيك؟ يجيبه الطفل بصوت شجي تركت أمي في البيت لتُعدَّ طعام العشاء للزائرين، وهـي تنتظرنـي لأصطحب معي ضيوفـي، لكن مثل ما ترى لا أحد يقبل أنْ يأتي معي بسـبب صغر سني، وإني لأسـتحي من أمي أنْ أعود بدون زائـر واحد، أثّر كلامه بالرجل وجلس معه يبكي بعد أنْ علم أنَّ والده شـهيد وهو أكبر أبنائه، فقام الرجل وجمع العديد من الزائرين وذهبـوا مع الطفـل لبيته، وأقاموا مجلسـاً حسـينياً، وأهـدوا الزيارة لوالد الطفل، ومشـهد آخـر لرجل كبير في السـنّ يعمل فلاحاً في بستانٍ بإحدى الدول يجمع المال لثلاث سـنوات مـن أجل أنْ يأتي للمشـاركة في الزيارة الأربعينيَّة، وآخر شيخ محدودب الظهر لا يملك سوى نخلة في بيته يحمل عثوقها على ظهره ليقدِّم رطبها للزائرين، وطفل يبيع المناديل الورقيَّة يجمع المال من عمله طوال السـنة ليشـتري به الماء ويقدّمـه للزائرين خلال الزيارة الأربعينيَّة، وآخر مبتورة سـاقه يأبى أنْ لا يسير إلا على قدمه نحو قبلة الأحرار، مشاهد كثيرة تهتز لها النفوس فتنحتها الأقـلام على الصخر قبل الورق في سبيل ألّا تمحى مشاهدها وتصل إلى أقصى بقاع الأرض، ليعرفوا من هذا الشخص الذي تُقدِّم من أجله الناس كلَّ شيء ويتجه إليه الزائرون من شتى أنحاء الأرض، ولمن هـذا المرقد الذي صـار قبلة للملايين؟، إنه الشـخص الذي ترك مدينته، المدينة التي يتمنى جميع المسلمين أنْ يعيشـوا فيهـا ولا يفارقوهـا لحظة فكيـف وقد تركها الإمام الحسـين (عليه السـلام) مع أهله وأصحابه قبل موسـم الحج بيومين متجهاً نحـو العراق لأمر يكاد غاية في الأهميَّة، فيه مصير الإسـلام والمسـلمين فيه أقلام سـتكتب وتاريخ سـيخلد عن أعظم معركـة في التاريخ وهي لم تسـتمر إلا سـاعات، المعركة التـي انتصر فيها المقتـول على القاتل، المعركة التـي ابتدأت بعد مقتل قائدها، وثبتت ركائز الدين المحمدي.

المعركة التـي يحتذى بها المظلوم فينتصر، واسـتطاع فيها الدم أنْ يغلب السيف فينكسر.

فالإعلام الحسـيني ألقى على عاتقه إيصال القضيَّة التي استشـهد مـن أجلها الإمام الحسـين (عليه السـلام)، ليتعرَّفَ عليها القاصي والداني، وتخرج المشـاهد الحيَّة لتخليـد تلـك الواقعة والأهـداف الحقيقيَّـة لها، وعلى الإعلاميين جميعـاً أنْ يواصلـوا فـي إيصـال النهضة الحسينيَّة لجميع أنحاء العالم، وإظهار الجانب الإيجابي لها والابتعاد عن نقل المشاهد الأخرى التي تكون بعيدةً عن الرسـالة الحقيقيَّة للزيارة الأربعينيَّـة، فتلك الأيام التي ينتظرها الشـيعة في دول العالم والعراق خصوصاً ويشارك فيها الكثير من المذاهب الإسلاميَّة والطوائف والأديان مـن داخل العراق وخارجه مـا هي إلا تظاهرة مليونيَّـة تؤيد ما قام به الإمام الحسـين (عليه السـلام) برفضه الظلـم والباطل والانحراف عن الدين المحمدي الأصيل والتضحية بكلّ غالٍ ونفيس في سـبيل إرسـاء دعائم الدين الإسلامي، وهدم الخرافات والعبوديَّة التي جـاء بها الحكـم الأموي، فأيـام الأربعينيَّـة تلك الأيام التي ينسـلخ فيها الإنسـان عن طبيعته وعاداته فيصبح كلّ شـيء لديه ممكناً من أجل أداء ما في وسعه خلال الزيارة الأربعينيَّة والجميع يتسابق لينال ثوابها، وهذه المشاهد سـتكون ملقاة على عاتق الإعلام بنقل جانبها الإيجابي للعالم.

موجبات السير على هدي الحسين

وليد خالد الزيدي

لـم تكن نهضة أبي الأحرار إمام التقى والهدى الحسـين بن علـي (عليهما السـلام) حدثاً تاريخياً عابـراً أو مجرَّد ثـورة لتغيير واقع مفروض فحسـب، إنمـا هي انعطافة كبيرة في مسيرة التاريخ وسيرة الرموز والعناوين الكبيرة على مـرّ الأزمنة، وانعكاس حيّ لمـا كانت عليه أحوال الناس بداية التاريخ الإسـلامي لدولة فتيَّة أسَّسها النبي الأمين وآل بيتـه الطاهرون وأصحابه المنتجبون الذين سـاروا على هديه بعد أنْ رافق الجليل الأعلى وما واجهه الإسـلام بعد ذلك مـن تهميش وفتن ودسـائس وتنكر لأهـل البيت وموجبات السـير على هديهـم باعتبارهم السابقين في الإيمان والمضحّين في سبيله وأقدر الناس على حمل رسالته وتوعية الناس بمبادئ الدين وتعاليمه فهم مـن نهلوا العلم مـن النبي الهادي الـذي اصطفاه الخالق من بين خلقه ليكون مبشـراً ونذيـراً وداعياً إلى الله وسراجاً منيراً.

معـانٍ كبيـرة ودلالات عميقـة ودروس بليغـة تحملهـا ذكرى أربعينيَّة الإمام الحسـين (ع) منها مقارعة الظلم ومناهضـة الباطـل والدفاع عـن القيم الإنسـانيَّة التي جاء بها الإسـلام الحنيف مع أنَّ سـاعة الشهادة وذكرى الأربعينيَّـة لم تدم في خصائصهـا الماديَّة طويلاً إلا أنها في واقع الأمر كانت التاريخ كله، إذ امتدت على مساحة واسـعة في الأصقاع من بلدان الأرض وطال تأثيرها أفق التاريخ ومدياته الروحيَّـة واعتباراته القيميَّة التي أذكت فـي النفوس جـذوة الإيمان وصـورت العنفـوان وإرادة الخالـق لعبـاده الصالحين الذين أراد لهـم أنْ يتحرروا من قيود الظلم ويتخلصوا من شـراك الطغيان ليعبدوه خالصيـن له الدين رغم أنـوف الكافرين الذين تجاهلوا حق الولاة عليهم وتنكـروا لوصايا النبي (ص) الذي بدا وكأنه يعلم ما سـيجري علـى آل بيته الأطهار من ويلات وحـروب فيوصيهم بالصبر والاسـتجابة لكلّ التحديات الكبـرى التـي تواجه كلاً منهـم ليلقي الحجـة والبرهان والامتحـان لكل مـن يدعي أنه مؤمن ويزعم أنه مسـلم يمكن أنْ يحفظ عهد الرسـول به إنصافاً وانتصاراً لدين الحـقّ ليظهـر أصحـاب الفتن مـا ظهر منهـا وما بطن ويعري الشـخوص المنزوية في الظلمات ويزيل الأقنعة عن الوجوه المسـودة الكالحة التي اسـتمرت بمجافاتها للإسلام والنبي وآله الأطهار من بعده.

من قاتل أبي الأحرار فقد ناصب العداء للإسـلام والنبي ودولة الخير والصلاح والذين حملوا سـيوفهم ضد أهل بيتـه إنما عدَّهـم التاريخ مناهضي الديـن الحق وأعداء للرسـول الأمين وبهـذا تكون القضيَّة واضحـة المعالم لكل منصف غيور فكاد الأعداء كيدهم وجمعوا شتاتهم للانقضـاض علـى رموز الإيمـان بعد الرسـول وها نحن نعيش ذكرى أربعينيَّة الإمام الحسين بعد تلك الموقعة الخالدة ندعو الله العلي القدير أنْ يمنَّ على بلادنا بالخير والصلاح وعلى شـعبنا العراقي بجميـع قومياته وأديانه وأطيافه بالأمن والاستقرار ومزيد من التلاحم والتماسك وتوحيـد الصفـوف لمواجهة الإرهـاب وعصابات الفتن والدسائس ضد شعبنا الأبي ونستلهم من الذكرى الجلل المواعظ والدروس.

حسين يا حسين

الصباح
رئيس التحرير
أحمد عبد الحسين

ch.editor@alsabaah.iq

www.alsabaah.iq
16 صفحة

ملحق خاص يصدر عن جريدة الصباح بمناسبة أربعينية الإمام الحسين عليه السلام